التراثُ الشعريُّ وأثره في البناء الفكري واللغوي

Poetic Heritage and its impact on Linguistic and Intellectual Development

د. محمود الحسن
Dr.Mahmoud Al-Hassan

ملخص البحث

في هذا البحثِ سيظهرُ أن الشعر يؤلِّفُ موردًا مهمًّا من موارد العلم والثقافة، فمنه يكتسب الإنسان اللغةَ والمَلكات اللسانية، والتفنُّنَ في الأساليب التعبيرية، ومنه يستمدُّ العلمَ والمعرفة والحكمة، ويَطَّلعُ على تجارب السابقين ونوادرهم، ويتعلَّم سرعةَ البديهةِ وفنون الحوار، وتغوص فيه النفس، فتَعوم في بحر من الشفافية والرِّقّة والإحساس، وتنطلق في دروب الصفاء والطهر، متوشِّحة بأثواب الفضيلة والجمال.

وسيتَّضح أيضًا أن قراءة الشعر ومدارسته والتأمل في معانيه وألفاظه، كل ذلك يُسهم في تعزيز اللغة العربية، والتمكين لها في العقول والقلوب، لأن الإنسان حين يتلقى اللغة عن طريق الشعر تغوص ألفاظها في قلبه مع ما يُصاحبها من مشاعر وأحاسيس، فتستقرُّ معانيها في ذهنه، ومحبّتُها في فؤاده.

Abstract

This research demonstrates that poetry makes an important resource of knowledge and culture. Through poetry, Human beings can acquire language skills, faculties and expressive styles, and also derive science , knowledge and wisdom. In addition , they can be enlightened with previous generations with their experiences and clever sayings , and learn about their repartee and the art of dialogue. Human soul may dive through poetry, float in a sea of transparency , delicacy and sensitivity, and travel the paths of serenity and purity, wearing the dress of virtue and beauty.

Additionally, reading poetry and pondering over its meanings and expressions will contribute to strengthening the use of Arabic language, and can reinforce it in the hearts and minds.When human beings learn Arabic through poetry , their hearts will be filled with feelings and sensations, therefore the meanings will be settled in the minds, and love for it will remain in the heart.

.

المقدمةُ

ممّا لا شكَّ فيه أن اللغةَ هي وعاء الفكر، وهي الحِصن الذي يضمن له البقاء والاستمرار، وهي الملكة التي تكفل له الخروجَ من زوايا العقول وسجونها إلى فضاء الحياة والواقع والإبداع.

واللغة والفكر كيانٌ متّحد، فلا فكرَ من دون لغة، كما أن اللغة تتحول إلى لغو وطلاسم، إذا خلت من نور الفكر، وأزهار العلم، ورحيق التجارب والحكمة.

ولغتنا العربية عزيزة على قلوبنا، راسخة في عقولنا، بها عبَّرنا عن سعادتنا وآلامنا، وعن أفراحنا وأحزاننا، وبها أيضًا عبَّرنا عن صرخة الولادة، وبما يُيسِّره الله على ألسنتنا، من ألفاظ اليقين والإيمان، سوف تُختَم حياتُنا.

ومع لغتنا العربية عشنا في كنف أمة عظيمة نفخر بانتمائنا إليها، وبها حفظنا تاريخنا، وورثنا علوم أجدادنا، وخلاصةَ عقولهم، وعُمقَ تجاربهم، ورقيق آدابهم، وعرفنا بطولاتهم وروائع أعمالهم، وتحدَّثنا من خلال السطور مع العظماء والعلماء والأدباء.

وإن حبَّنا للغتنا العربية يدفعنا دائمًا إلى الاهتمام بها، وتحصينها من نوازل الزمان، ومكر الأيام، وتصفيتها من الشوائب والكدر والضَّعف. وهذا الحبّ هو الذي يحملنا على تعزيز بنائها في القلوب والعقول والألسنة والسطور.

واللغة باعتبارها مرتبطة بالفكر، فمن الطبيعيّ أن رحلة اكتسابها والتمكين لها لن تكون بحفظ الألفاظ المنقوشة في المعاجم، وإجرائها على الألسنة خاوية خالية من الحياة، وإنما تكون بالولوج في بحار العلم والمعرفة، بحيث نكتسب مع كل غرفة لفظة، ومع كل موجة معنًى، ومع كل فهم وتدبُّر وتأمُّل ذخيرة لغوية حيّة، تنبض في جوانحها الروح، وتجري في جوانبها الحياة.

فبناء اللغة ورسوخها في عقل الإنسان لا ينفصل عن البناء الفكري السليم، ولعلَّ مُنطلَق ذلك يكمن في التوجُّه نحو رياض العلم، واقتطاف أزاهيره، والتماس الحكمة في عبيره الذي لا ينقطع.

والعلم له موارد وينابيع، لا بُدّ من معرفتها أولاً، ثم إذا عرف المرءُ طريقَه إليها فما عليه إلا أن يسير في شعابها، متوشِّحًا بالصبر والجِدّ، ناظرًا في آفاق الأمل، يترقَّب بتلهُّف كلَّ نجمٍ جديد يُشِعُّ في ليالي العُمر، وكلَّ شمسٍ تُشرقُ في نهار الحياة، حريصًا على ألا تفوتَه في بحار العلم قطرة، ولا في أرضِ المعرفة زهرة، متيقِّنًا بوصيّة أبي عمرو بن العلاء: أنه يحسُن بالمرء أن يتعلَّمَ ما دام يحسُن به أن يعيش.(١)

وموارد العلم والثقافة واسعة، لكنني سأقتصر في هذا البحث على واحد منها ألا وهو الشعر. فأُبَيِّن أهميتَه في الحضارة العربية، ومنزلته في النظام التعليمي عند العرب، ثم أتحدَّث عن أثره في اكتساب اللغة والملكات اللسانية والتعبيرية، وتزويد العقل بالحكمة والتجارب والملكات الفكرية، وصقل النفس بالشفافية والرِّقّة، وتقويم السلوك وتعزيز القيم.

مكانة الشعر في الحضارة العربية:

نظر العرب إلى الشعر على أنه خزانة العلم، وروضة الحكمة، وديوان البيان، وجامع الأخبار والأيام، والحافظ للأنساب والصنائع والمفاخر، قال بهاء الدين الإربلي (ت ٦٩٢هـ) مبيِّنًا مكانة الشعر عند العرب: «وبعد فإنَّ الأدب لم يزل على قديم الوقت محبوبًا، وصاحبه على تباين الأحوال مقرَّبًا مطلوبًا، وكان من أعظم آداب العرب الشعرُ، الذي هو ديوان بيانهم، وجامع إحسانهم، ومقيِّد ذكر أيامهم وأنسابهم، وحافظ أُصولهم وأحسابهم، يعطرون بأرجه مجالس أنسهم، ويعرفون به مزيّة يومهم على أمسهم...»[٢].

وفي فضائل الشعر قال أبو تمام: [٣]

ولولا خِلالٌ سنَّها الشِّعرُ ما دَرَت
بُغاةُ العُلا مِن أينَ تُؤتَى المَكارِمُ

وقد رُوِي أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) كان يوم الخندق ينقل التراب، وهو يرتجز برجز قاله عبد الله بن رواحة، والرجز هو:[٤]

لاهُمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا
ولا تَصَدَّقنا ولا صَلَّينا
فأنزِلَنْ سكينةً علينا
وثَبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَينا
إنَّ الأعادي قد بَغَوا علينا
وإنْ أرادُوا فتنةً أبَينا

وروى صاحب العقد الفريد أن العلاء بن الحَضرميّ قَدِم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: هل تَروِي من الشعر شيئًا؟ قال: نعم. قال: فأنشِدني. فأنشده:

تَحَببْ ذَوي الأضغانِ تَسْبِ نُفوسَهُم
تَحَبُّبَكَ القُربَى فقد تُرْقَعُ النَّعَلْ
وإن دَحَسُوا بالكُرْهِ فاعفُ تكرُّمًا
وإن غَيَّبوا عنك الحديثَ فلا تَسَلْ
فإن الذي يُؤذيكَ مِنهُ سَماعُهُ
وإن الذي قالوا وراءَك لم يُقَلْ

فقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): إن من الشِّعر لَحِكْمةً.[٥] وهذا يدلّ على أن النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) كان يرفع من شأن الشعر، ويرى أن فيه علمًا وحكمة وفضلاً.

وذكر ابن رشيق في العمدة أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: الشعر ميزان القول، وفي رواية أخرى: الشعر ميزان القوم. وذكر أيضًا أن أعرابيًا وقف عليه «فقال: إن لي إليك حاجةً رفعتُها إلى الله قبلَ أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتَها حَمِدتُ الله تعالى وشكرتُك، وإن لم تَقضِها حَمِدتُ اللهَ تعالى وعذرتُك.

فقال له علي: خط حاجتك في الأرض، فإني أرى الضُّرَّ عليك، فكتب الأعرابي على الأرض: إني فقير. فقال علي لغلامه: يا قنبر؛ ادفع إليه حُلّتي الفلانية، فلما أخذها مثَل بين يديه فقال:

كَسَوتَني حُلّةً تَبلَى مَحاسِنُها
فسوف أكسوكَ مِن حُسنِ الثَّنا حُلَلا
إن الثَّناءَ لَيُحيي ذِكرَ صاحِبِهِ

كالغَيثِ يُحيِي نَداهُ السَّهلَ والجَبَلا
لا تَزهَدِ الدَّهرَ في عُرفٍ بدأتَ به
فكلُّ عَبدٍ سيُجزَى بالذِي فعَلا

فقال علي: يا قنبر، أعطه خمسين دينارًا، أما الحلّة فلمسألتِكَ، وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنزِلُوا النّاسَ مَنازِلَهُم»[٦].

فالشّعر كانت له مكانة مرموقة في الحضارة الإسلامية، إذ كانوا يهتمون به ويحضّون على تعلمه، فقد رُوِي أن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما- قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب.[٧] وكان بلغاؤهم يُكثرون من الاستشهاد بالشعر في الخُطَب والمواقف التي يتكلمون فيها، ومن ذلك ما جاء في بعضِ خُطَب الإمام عليٍّ كرم الله وجهَه وأقواله، حيث قال: «الفِكرُ مرآةٌ صافية، والاعتبارُ مُنذِرٌ ناصحٌ، وكفى أدبًا لنفسك تجنُّبُك ما كرهتَه لغيرك. وقال: رُبَّ مُستقبِلٍ يومًا ليس بمُستدبِرِه، ومَغبوطٍ في أول لَيلِه قامَت بَواكيهِ في آخرِه، كما قال الشاعر:

يا راقدَ اللَّيلِ مَسرورًا بأولِهِ
إنَّ الحَوادثَ قد يَطرُقْنَ أسحارا[٨].

ويُروى أن أحد الولاة قال لمُؤدِّب أولاده: «وعَلِّمهم كتابَ الله، ثمَّ رَوِّهِم من الشِّعر أعفَّه، ومن الحديث أشرَفه، ولا تُخْرِجْهم من عِلمٍ إلى غيره حتّى يُحْكموه، فإنَّ ازدحامَ الكلام في السَّمع مَضَلّةٌ للفهم، وعلِّمْهم سِيَرَ الحكماء وأخلاقَ الأدباء، وجنِّبْهُم محادَثة النساء، وتهدَّدْهم بي وأدِّبْهم دُوني...».[٩]

وهذا القول يحوي على إيجازه نظريةً متكاملةً في التربية والتعليم، يأتي فيها الشعر بعد القرآن الكريم من حيث وجوب تعلّمه وحفظه ومُدارسته، والإفادة منه في بناء العقل، والملكات الفكرية واللغوية. قال أبو هلال العسكري: «فالشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومُستنبَط آدابها، ومُستودَع علومها؛ فإذا كان كذلك، فحاجة الكاتب والخطيب وكلّ متأدّب بلغة العرب أو ناظر في علومها إليه ماسّة، وفاقته إلى روايته شديدة».[١٠]

وذكر ابن خلدون في مقدمته أن تعليم الصبيان في معظم البلاد الإسلامية، كان يُبتَدأ بصورة عامة بتحفيظ القرآن الكريم، ثم مدارسةِ الحديث الشريف، وبعضِ قوانين العلم، فإذا تجاوز الصبيُّ حدَّ البلوغ إلى الشبيبة انتقلوا به إلى رواية الشعر والترسُّل وعلوم العربية.

ولكن النظام التعليمي السابق يختلف تطبيقه بين بلد وآخر، فأهل المغرب يقتصرون في تعليم الصبيان على القرآن الكريم فقط، فهم لذلك أقومُ على رسم القرآن وحفظه من سواهم.

وأمّا أهل الأندلس فقد جعلوا القرآن الكريم أصلاً في التّعليم، ولكنهم لا يقتصرون عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان روايةَ الشّعر في الغالب والتّرسل وقوانين العربيّة وحفظها وتجويد الخطّ والكِتاب.

ثم ينتقل ابن خلدون إلى الموازنة بين مستوى المتعلمين في البلاد المختلفة، فيرى أن ثمرةَ التعليم تظهر فيما يمتلكه المتعلِّم في المستقبل من ملكات

اللغة والأسلوب والعلوم، فاقتصار أهل المغرب على تعلُّم القرآن الكريم فقط سبَّبَ لديهم قصورًا عن ملكة اللسان جملة، وذلك أنّ القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة، لأنّ البشر مصروفون عن الإتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن استعمال أساليبه والاحتذاء بها. وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكةٌ في اللّسان العربيّ، وحظّه الجمودُ في العبارات وقلّةُ التّصرّف في الكلام.

وأمّا أهل الأندلس فأفادهم التّفنُّن في التّعليم وكثرة رواية الشّعر والتّرسّل ومدارسة العربيّة من أوّل العمر، حصولَ ملكةٍ صاروا بها أعرف في اللّسان العربيّ. وقصّروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها.[١١]

ولم يقتصر حضور الشعر في حياة العرب على التعليم، بل دخل جوانب حياتهم كلها، فكان حاضرًا في بلاط الخلفاء وذوي النفوذ، وفي المساجد والمجالس والأسواق، وكثيرًا ما كان يدخل البيوت ويسود في العلاقات الاجتماعية والزوجية.

مما تقدَّم يظهر أن للشعر مكانةً مهمة في الحضارة الإسلامية، ولاسيما في تعليم الناشئة، وقد تبيَّن مما عرضه ابن خلدون أن التمكن من الأساليب البلاغية، والقدرة على التصرف في الكلام، والتفوُّق في معرفة اللغة، تعود إلى حفظ الشعر ومدارسته، وهذه المزايا لا يمتلكها مَن يقتصر على تعلُّم القرآن الكريم وحفظه وحدَه.

فقراءة الشعر وروايته ومدارسته لها فوائد كثيرة، يُمكن اختصارها في أربعة اتجاهات عامة، هي: اكتساب اللغة والملكات اللسانية والتعبيرية، وتزويد العقل بالحكمة والتجارب والملكات الفكرية، وصقل النفس بالشفافية والرِّقّةَ، وتقويم السلوك وتعزيز القيم. وإذا تحقَّقت كل هذه الأمور في الإنسان ارتقى في مدارج الكمال، وذلك هو الغرض المنشود من المبادئ والقيم، والغاية المرجوّة من العلوم والفلسفات والأديان.

ولا شكَّ أن الفوائد السابقة سيتلقاها الإنسان في قوالب لغوية، تُمكِّنه من حفظ الألفاظ، وإتقان أساليب التعبير والتصوير، والقدرة على التأليف والإنشاء، وإجادة الفنون اللسانية كالخطابة والشعر.

أولاً- اكتساب اللغة والملكات اللسانية والتعبيرية:

الشعرُ مهما تنوعت تعريفاته فهو كلمات يُؤلِّفها الشاعر وفق نظام يستند إلى علوم اللغة، وتحكمه اعتبارات أدبية وجمالية ينشأ عنها التفنن في الأساليب والصور والخيال.

والذي يطمح أن يكون كاتبًا أو خطيبًا أو متكلِّمًا أو شاعرًا لا بدّ له من ذخيرة لغوية، يعتمد عليها في صوغ أفكاره، ونقل تجاربه، والتعبير عن مشاعره ومواقفه، كما يحتاج إلى التمرُّن على الأساليب وإتقانها، والبراعة في التأليف والتصوير، والتمكُّن من الملكات اللسانية والتعبيرية. ولذلك فهو يحتاج إلى مُطالعة النصوص الأدبية عامة، كالقرآن الكريم والحديث الشريف والمصنَّفات الأدبية والدواوين الشعرية وغيرها، ليكتسب منها العلم واللغة والأسلوب، ثم يُضيف إليها مزاياه الشخصية

والفكرية، ويُكوِّن في النهاية أسلوبًا أدبيًّا خاصًّا به، يستعمله في التعبير عن مكنون الفِكر، وخبايا النفس والشعور.

فالذخيرة اللغوية والأسلوبية التي يحتاجها الكاتب والمتكلم والشاعر والخطيب كامنة في مصادر كثيرة، منها الشعر. وتأتي أهمية الشعر من سهولة حفظه، وتنوُّع أساليبه وموضوعاته، وقُربه من النفس، «فالحفظُ إليه أسرع، والآذانُ لسماعه أنشَط؛ وهو أحقُّ بالتقييد وبقلّة التَّفلُّت، وما تكلَّمَتْ به العربُ مِن جيِّد المنثور أكثرُ ممّا تكلمت به من جيِّد الموزون، فلم يُحفظْ من المنثور عُشرُه، ولا ضاع من الموزون عُشره».[١٢]

فمن الشعر إذًا يكتسب الإنسان اللغةَ، ويتعرَّف طرائق استعمالها، ويَفهم معانيَها، ويُلِمُّ بمقاصد الشعراء والأدباء. ولننظر مثلاً إلى قول ابن سعيد المغربي (ت٦٧٣هـ):[١٣]

أنا مَن عَلِمتَ يَشوقُهُ ذِكرُ الحِمَى
وتُساقُ رُوحِي والرِّكابُ تُساقُ
أخلصتُ في حبِّي، وكم مِن عاشقٍ
فيما ادّعاهُ مِن الغَرامِ نِفاقُ
يَدعُو الحَمامُ وتَرقُصُ الأغصانُ مِن
طَرَبٍ بِهم وتُصَفِّقُ الأوراقُ
وحدي جَمَعتُ مِن الهَوى مِثلَ الذي
جَمَعُوا كذاكَ تُقَسَّمُ الأرزاقُ

فهذه الأبيات مثلاً تُكسب القارئ ألفاظًا تُضاف إلى ما يختزنه عقله، من ذخيرة لغوية، وتجعله يخطو في عالم الخيال، ليرى مشهدًا لطيفًا من مشاهد الطبيعة، تبدو فيه صورة الحمام وهو يغني، محفوفًا بأغصان الدوح وأوراقه، فيختلط غناء الحمام وحفيف الأوراق والنسمات الهادئة، بخفقات الفؤاد الذي تتدفق فيه أمواج الحب، ويستسلم له الشاعر في جو من الرِّضا والحنين.

فقراءة الشعر وحفظه تزيد من قدرة الإنسان على التخيُّل والفهم والحفظ، وتُثري العقل بالمعاني اللطيفة والثروة اللفظية، فيصبح أقدر على التصرف في الكلام، والتفنن في التعبير، والتمرُّس في فهم أساليب الشعراء والكتاب ومقاصدهم، إضافة إلى مداعبة النفس بنغمات لطيفة خفيّة، تترك فيها آثارًا من السرور والمتعة والرّقة.

وكان ابن الأثير يدعو الكاتِب إلى أن يصرف هَمَّه إلى حفظ القرآن الكريم، والأخبار النبوية، ودواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الإجادة في المعاني والألفاظ، ثم يأخذ في الاقتباس منها، حتى يستقيم على طريقةٍ في الكتابة يفتتحها لنفسه، ويكون له أسلوب متميِّز في التأليف والإنشاء.[١٤]

وفي المقابل فإن البُعد عن الشعر ومدارسته، يحجب عن الإنسان آفاقًا فكرية واسعة، ودُررًا ثمينة من الألفاظ والأساليب والصور التي يختزنها التراث الشعري، ويكون أسلوبه الإنشائي والخطابي أقرب إلى الجفاف والجمود، وربما يغيب عن ذهنه الكثير من مقاصد الكلام ومعانيه.

ثانيًا- التزوُّد بالحكمة والتجارب والملكات الفكرية:

الشعر يحوي بين أنغامه وقوافيه خلاصةَ الحكمةِ

والتَّجارِب، والملكات الفكرية كالتأمُّل والتدبُّر والاحتجاج وغير ذلك. ويكفي أنّ الشاعر سُمِّي بذلك لأنه – كما يقول ابن رشيق- «يشعر بما لا يشعرُ به غيرُه، فإذا لم يكن عند الشاعر توليدُ معنًى ولا اختراعُه، أو استظرافُ لفظٍ وابتداعُه ... كان اسمُ الشاعر عليه مجازًا لا حقيقةً».(١٥)

فالشاعر عند العرب كان من أكثر الناسِ علمًا وحكمةً، وأوسعهم اطّلاعًا على علوم المتقدِّمين والمعاصرين، وأقدرهم على امتلاك ناصية الكلام البليغ، وأمهرهم في توظيف ما يُحيط به من العوالِم والأكوان في الاستدلال للحقائق، وبناء الصور الفنية، ومزجها بما تنبض به نفسه من مشاعر وأحاسيس.

وإذا لم يكن الشاعر كذلك لم يصدق عليه الاسم، وسوف يموت شعره قبل أن يُولَد، ولن يُكتب له نصيب في القبول، قال دعبل الخزاعي:(١٦)

يَموتُ رَديءُ الشِعرِ مِن قَبلِ أهلِهِ
وجَيِّدُهُ يَبقى وإن ماتَ قائِلُه

لذلك فمن يقرأ شعر الفحول ويحفظه فقد أقام في رياض الحكمة والمعرفة، يشتمُّ أزهارَها، ويروى بمائها، ويهنأُ في ظلالها، وينتقي ما يحلو له من ثمارها، ثم يخرج منها وقد امتلك العلمَ، وتَمثَّل التجارِب، وارتسمت في مرآة نفسه صفحات الكون، يتنقَّل بين عجائبها ومناظرها، ويُنقِّب في أسرارها، ويكتشف مواطنَ الجمال في مشاهدها، ويُسَخِّر كلَّ ذلك في بناء أسلوب متميِّز، وطرائقَ متفرِّدةٍ للمحاكمات العقلية السليمة، والتعبير عن الفكر والشعور.

ولننظر مثلاً إلى قول أبي تمام:(١٧)

وطُولُ مُقامِ المَرءِ في الحَيِّ مُخلِقٌ
لِديباجَتَيهِ فاغتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإنّي رأيتُ الشَمسَ زِيدَت مَحَبّةً
إلى الناسِ أن لَيسَت عَلَيهِم بِسَرمَدِ

فهنا يرى الشاعر أن الإنسان حين يغترب تتجدَّد حياتُه، لأنه يحلّ بين أناس لم يملُّوا صورتَه وفكره، ويغرس ذاته في بيئة جديدة، يستمد منها النور والنضارة والحياة. وهذه الرؤية لا يتقبَّلها الإنسان بسهولة، لأنه بمجرَّد أن يتصور الغربةَ تحضرُ في ذهنه صور المشقة والعذاب والمعاناة، والشوق للأهل والديار، والحرمان من الوطن والأحبة. ولهذا عمد الشاعر إلى إثبات فكرته والاستدلال لها بمشهد مألوف من مشاهد الطبيعة، وهو شروق الشمس وغروبها، فذكر أن غياب الشمس عن الناس هو ما يدعوهم إلى حبها والاشتياق لها وانتظارها.

ويظهر في هذا الاستدلال كثرةُ تأمُّل الشاعر في مشاهد الطبيعة، وبراعته في توظيفها في إثبات الفكرة التي يُريدها. فالناس كلهم يُشاهدون شروق الشمس وغروبها، ولكن لم يخطر ببالهم أن هذه الظاهرة المألوفة يُمكن أن يُستدلَّ بها للدعوة إلى الاغتراب. ومثل هذه الأبيات تظهر فيها، بلا شكّ، عبقريةُ الشاعر وإبداعه، كما تتجسَّد للمتأمِّلين رياضُ الحكمة والملكات الفكرية التي تبيَّن فيما تقدَّم أن الإنسان يكتسبها من الشعر.

ويُروى أن عُمارة بنَ عقيل ابنِ الشاعر جرير حين

سمع أبيات أبي تمام السابقة، قال: لله درّه! لقد تقدَّم في هذا المعنى جميعَ مَن سَبَقَه على كثرة القول فيه، حتى لَحَبَّب إلى الناسِ الاغترابَ.[١٨]

ومما يحسنُ الاستشهاد به، على الأشعار التي استدل فيها أصحابها بظواهر الطبيعة المحسوسة، لإثبات أفكارهم، قول المتنبي في رثاء خولة أخت سيف الدولة: [١٩]

وهَمُّها في العُلا والمَجدِ ناشِئَةً
وهَمُّ أترابِها في اللَّهوِ واللَّعِبِ
وإن تَكُنْ تَغلِبُ الغَلباءُ عُنصُرَها
فإنَّ في الخَمرِ مَعنًى لَيسَ في العِنَبِ

فهنا يذكر المتنبي من مناقب خولة أنها كانت، كأخيها سيف الدولة، تتطلع دائمًا نحو المعالي والمجد، على حين كان جيلها من النساء ينشَغِلنَ باللهو واللعب. ثم ينسب إليها التفوُّقَ على أصلها وقبيلتها، فالغلباء تعني: الغالبة المتفوِّقة، وذهب بعضهم إلى أن معناها: التغلبية، لأن تغلب قبيلتها[٢٠]، ويستدل لإثبات تفوُّقها على قومها وأصلها بتفوُّق الخمر على العنب، مع أنه أصلها. وهذا النوع من الاستدلال كثير في شعر المتنبي، كقوله في مديح سيف الدولة:[٢١]

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم
فإنَّ المِسكَ بعضُ دَمِ الغَزالِ

وقد سمَّى عبد القاهر الجرجاني هذا النوع من الاستدلال بالتمثيل، وتحدَّث عن بلاغته وفوائده، وفي ذلك قال: «أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيٍّ، وأن تَرُدَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة، يَفضُلُ المستفادَ من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام»[٢٢].

ففائدة التمثيل، كما يرى الجرجاني، تتلخص في أن المتنبي، حين نسب التفوُّقَ لخولة على جنسها وقومها، فقد قرَّر حُكمًا خاطب به العقل، وهذا الحُكم يحتاج إلى دليلٍ لقَبوله وتصديقه، لما فيه من الغرابة والبُعد عن المألوف، فجاء التمثيل بمثابة دليل مُستمَدّ من الواقع المحسوس، أزال الشَّكَّ عند السامع والقارئ. ومن جهة أخرى فإن المتنبي حين قرَّر التفوُّق أتى بفكرةٍ يُدركها العقل، ثم حين مثَّل لها بتفوُّق الخمر على أصلها، أتى بصورة من الواقع مُدرَكة بالحواس، فيكون بذلك قد عبَّر عن فكرته من طريقين: طريق العقل وملكاته، وطريق الحواس والطباع، والعلم الذي يأتي النفس من هذين الطريقين: «أمسُّ بها رحمًا، وأقوى لديها ذِمَمًا، وأقدمُ لها صُحبةً، وآكدُ عندها حُرمة».[٢٣]

والمهم أن مَن يُطالع الشعرَ، ويتدبَّر معانيَه وألفاظَه، يعتاد فهم مقاصدِ الشعراء وأساليبِهم البلاغية، وطرائقِهم في الاستدلال، وتوظيف عناصر الطبيعة ومشاهدِها المحسوسة في المحاكمات العقلية، وإثبات الأفكار والتجارب.

ومن أهم وظائف الشعر في البناء العقلي الحثّ على التأمّل في الموجودات المحسوسة، وفي تلك المُغَيَّبةِ خلف الطبيعة. ولعلّ التأمّل من أقدس خصائص العقل الإنساني، إذ به يَستنطق المرءُ الجمادَ، ويَفرّ من عالَمه الضَّيّق إلى عالَم ليس له حدود، يتنقّل فيه على أجنحة الخيال، مُحرِّرًا روحَه من قيود الجسد، محلِّقًا بها في أرجاء الدنيا وملكوت السماء، ومن أمثلة التأمل في الشعر قول ابن خفاجة على لسان الجبل الذي استنطقه:(٢٤)

وقالَ: ألا كَمْ كُنتُ مَلجأ قاتِلٍ
ومَوطِنَ أوّاهٍ تَبتَّلَ تائِبِ
وكَمْ مَرَّ بي مِن مُدلِجٍ ومُؤوِّبٍ
وقالَ بِظِلّي مِن مَطِيٍّ وراكِبِ
فما كانَ إلا أنْ طَوتهُم يَدُ الرَّدَى
وطارَت بِهِم رِيحُ النَّوى والنَّوائِبِ
فأسمَعَني مِن وعظِهِ كُلَّ عِبرةٍ
يُتَرجِمُها عَنهُ لِسانُ التَّجارِبِ
وقُلتُ وقَد نَكَّبتُ عَنهُ لِطَيّتي
سَلامٌ فإنّا مِن مُقيمٍ وذاهِبِ

وهذا أبو العلاء المعري، الذي اشتهر بشعر الحكمة والتأمل، يُفكِّر في الموت وهو يختطف أرواح الناس، ثم يدسُّ أجسادَهم في التراب، ويُسلِمُهم للبلى والفناء، ثم يتخيَّل كم دُفِن في الأرض من البشر! فينتهي إلى أن وجه الأرض ليس ترابًا، وإنما هو أجساد تراكَمَت وفَنِيت، ونحن نطؤها فنُؤذي آباءَنا وأجدادَنا، ويتأمَّل القبر، فيتخيَّله ضاحكًا ساخرًا من البشر، طالما امتزجت فيه أشلاؤُهم رُغمًا عنهم، على ما كان بينهم في الحياة من عداوة وحقد وثأر. يقول:(٢٥)

صاحِ هَذِي قُبُورُنا تَمْلأ الرُّحْـ
ـبَ فأينَ القُبُورُ مِن عَهدِ عادِ
خَفِّفِ الوَطْءَ ما أظُنّ أدِيمَ الـ
أرْضِ إلاّ مِن هذِهِ الأجسادِ
وقَبيحٌ بنا وإنْ قَدُمَ العَهـ
ـدُ هَوانُ الآباءِ والأجدادِ
سِرْ إنِ اسْطَعتَ في الهَواءِ رُويدًا
لا اختِيالاً عَلى رُفاتِ العِبادِ
رُبّ لَحدٍ قَد صارَ لَحدًا مِرارًا
ضاحِكٍ مِن تَزاحُمِ الأضدادِ

فالتأمُّل الطويل، والتفكُّر العميق، والإحساس المُرهَف بالطبيعة والحياة، جعلت أبا العلاء يستخلص العِبَر والمواعظ، ويتوجَّهُ بها إلى الإنسان ليُفكِّر في نهايته، وفي المصير المحتوم الذي ينتظره وراء امتداد الأجل. ولعلّ ملكةَ التأمُّل من أهم ما يستفيده الإنسان من مطالعة الشعر.

وممّا يُحصِّله قارئ الشعر، من الملكات العقلية، إضافة إلى ما سبق، سُرعةُ البديهة، وحسنُ الجواب، واللطف في الاعتذار، واختراع الدعابة والنوادر، وكل ذلك يتحصَّل له مما يقرؤه من سِيَر الشعراء ومجالسهم ونوادرهم، ومن أمثلة ذلك: أن شاعرًا أتى المأمون يبغي العطاء، فقال للمأمون: لقد قلتُ فيك شعرًا، فقال: أنشدنيه. فقال:

حَيّاكَ رَبُّ النّاسِ حَيّاكا
إذ بجمالِ الوجهِ رَقّاكا

بَغدادُ مِن نُورِكَ قد أشرقَت
وورَّقَ العُودُ بِجَدواكا

فأراد المأمون أن يُمازحه، فأطرق ساعة، وقال: يا أعرابي، وأنا قد قلتُ فيك شعرًا، وأنشد يقول:

حَيّاكَ رَبُّ النّاسِ حَيّاكا
إنَّ الذي أمَّلتَ أخطاكا

أتيتَ شَخصًا قد خَلا كِيسُهُ
ولو حَوى شَيئًا لأعطاكا

فقال: يا أمير المؤمنين، الشعر بالشعر حرام، فاجعل بينهما شيئًا يُستطاب. فضحك المأمون وأمر له بمال.[٢٦]

ورُوي أن أبا دُلامة لقي المَهدي لما قدم بغداد فقال:

إنِّي نَذَرتُ لَئِن رأيتُكَ سالِمًا
تَرِدُ العِراقَ وأنتَ ذُو وَفرِ

لَتُصَلِّيَنَّ على النَّبِيِّ وآلِهِ
ولَتَملأنَّ دَراهِمًا حِجري

فقال له: صلى الله على محمد وآله وسلم، وأما الدراهم فلا سبيل إليها. فقال أبو دلامة: ما أسرَعَكَ إلى الأولى، وأبطأكَ عن الثانية! فضحك وأمر له ببَدرة فصُبَّت في حِجرِه.[٢٧]

ومن أخبار أبي دلامة أيضًا، وكان شاعرًا وصاحبَ نَوادر، أن الخليفة المهدي خرج للصيد مع علي بن سليمان، ومعهما أبو دلامة، فرمى المهدي ظبيًا فأصابه، ورمى علي بن سليمان ظبيًا فأخطأه وأصاب كلبًا، فضحك المهدي، وقال: يا أبا دلامة، قل في هذا، فقال:

قد رَمَى المَهدِيُّ ظَبيًا
شَكَّ بالسَّهمِ فُؤادَهْ

وعَلِيُّ بنُ سُلَيما
نَ رَمَى كَلبًا فصادَهْ

فهَنيئًا لكما، كلٌّ
امرِئٍ يأكُلُ زادَهْ

فأمر له بثلاثين ألف درهم.[٢٨]

وقيل: مرت امرأةٌ من العرب بمجلس من مجالس بني نُمير، فرماها جماعةٌ منهم بأبصارهم، فوقفت ثم قالت: يا بني نُمير، لا أمْرَ الله تعالى أطعتُم، ولا قولَ الشاعر سمعتم، قال الله تعالى: (قُلْ للمُؤمِنينَ يَغُضُّوا مِن أبصارِهِم)، وقال الشاعر:

فغُضَّ الطَّرفَ إنّكَ مِن نُميرٍ
فلا كَعبًا بلغتَ ولا كِلابا

فما اجتمع منهم بعد ذلك اثنان في مجلس.[٢٩]

وهذه الأمثلة تدلُّ على ما يحتويه الشعر من نوادر الشعراء، وما يتميَّزون به من سرعة البديهة، وحسن التصرف في المواقف، وبراعتهم في الجواب. وهذه الأمور يكتسبها مَن يُطالع التراث الشعري، وتصبح لديه ملكة فكرية ولسانية.

وكان الناس عامةً وأصحابُ النفوذ خاصةً، يُولون الشِّعرَ أهمية كبيرة، ويحيطونه بكل ما في قلوبهم من الإعجاب والإجلال، فكانت بلاغة الشعراء وظرافتهم ونوادرهم تأسر القلوب، وتدفع المرء إلى اعتناق مذهب الإحسان، وبلوغ المدى في الجود والكرم وطيب النفس. ويحسن في هذا الباب عرضُ ما رُوِي

عن الأصمعي أنه قال: بينما أنا قاعد عند محمد بن سليمان الهاشمي والي البصرة، إذ دخل عليه رجل، فقال: أصلح الله الأمير، إن بالمربد أعرابيًا مجنونًا من بني سعد لا يتكلم إلا بالشعر، فقال عليَّ به، فأُتي به، فلما نظر الأعرابي إليه أنشأ يقول:

حَيّاكَ رَبُّ النّاسِ مِن أميرِ
يا فاضِلَ الأصلِ عَظيمَ الخَيرِ

فقال محمد: وأنت فحَيّاكَ اللهُ يا أخا بني سعد. فقال الأعرابي:

إنّي أتاني الفارسُ الجِلوازُ
والقلبُ قد طارَ به اهتِزازُ

فقال الأمير: إنما بعثنا إليك لنشتريَ ناقتَك، فقال الأعرابي:

ما قالَ شَيئًا في شِراءِ النّاقَهْ
وقد أتَى بالجَهلِ والحَماقَهْ

قال الأمير وما الذي أتى؟ فقال:

خَرَّقَ سِربالي، وشَقَّ بُردتِي
وكانَ وَجهي في المَلا وزِينتِي

فقال الأمير إذًا نَخلَعُ عليك، فقال الأعرابي:

نَعَّمَكَ اللهُ وأرخَى بَالَك
وأكثَرَ اللهُ لنا أمثالَك

... وتطول المساومة في ثمن الناقة بين الأمير والأعرابي، والأخير يُحاور بالرجز ويُحسن الجواب، فأُعجِب الأميرُ بأدبه وحضور بديهته، وأمر له بثياب وألف درهم، فأنشأ الأعرابي يقول:

إنّي رَمَتنِي نَحوكَ الفِجاجْ
أبو عِيالٍ مُعدِمٌ مُحتاج
طاوي المَطِيِّ مَعَ ضِيقِ العَيشِ
فأنبتَ اللهُ لديكَ رِيشي
شَرَّفتَنِي مِنكَ بألفٍ حاضِرهْ
شَرَّفَكَ اللهُ بها في الآخِرهْ
وكسوةٍ طاهِرةٍ حُسّان
كَساكَ رَبِّي حُلَلَ الجِنان

فضحك الأميرُ وقال: من زعم أن هذا مجنون؟ وَدِدتُ أني كنتُ مثله.[٣٠]

ففي الشعر إذًا يجد القارئُ كلَّ ما يُؤمِّله من أزاهير الحكمة، ورحيق التجارب، وحُسنَ الاعتذار، والتلطُّف في السؤال، ومنه يكتسب الكثير من الملكات العقلية كالتأمّل والاستدلال وسرعة البديهة وغيرها.

ومن هذا الباب ما يتعلمه القارئ من محاكمة واستدلال واستنتاج يتميَّز بها الشعر، دون النثر، إذ كثيرًا ما يُقدِّم الشاعر تعليلاتٍ تقبلها النفسُ وتطمئنّ إليها لطرافتها وموقعها الحسن، مع أنها لو وردت في النثر لما كان لها في مجال الإقناع قيمة. ومن ذلك قول المتنبي في قصيدته التي يُفضِّل فيها نساء البادية على نساء الحواضر:[٣١]

حُسنُ الحَضارةِ مَجلوبٌ بِتَطرِيةٍ
وفي البَداوةِ حُسنٌ غَيرُ مَجلوبِ
ومِن هَوى كُلِّ مَن لَيسَت مُمَوهةً
تَرَكتُ لَونَ مَشيبي غَيرَ مَخضوبِ

فهو يعلل أنه رغب عن خَضبِ شَيبه، لعشقه النساءَ اللواتي لا يعرفنَ الجمالَ المصطَنَع. وهذا التعليل تقبله النفس، وتستلذ بترديده وتكراره، مع أنه لا يثبت في ميزان الأدلة العقلية. وقد قيل في هذه القصيدة:

«لو لم تُفضَّل البادِيةُ بشعرٍ إلا هذا لكان فيه مَقنَعٌ وكِفاية».[٣٢]

ثالثًا- صقل الروح بالشفافية والرِّقة:

إن شفافية الروح ورقة المشاعر يُورثان الإنسان حسًّا جماليًّا، يُمكِّنه من المقارنة بين الخير والشر، والحُسن والقُبح، وإدراك أسرار الحياة، ورؤية الكون مجلوًّا في صُوَر لطيفةٍ لا تتأتَّى رؤيتُها لعامة الناس، والحسّ الجمالي هو الذي يُرسِّخ في النفس الإنسانية حبَّ الفضيلة والقيم، فتنزِع النفس نحو الكمال، وتتوق إلى الصفاء، ويتجه السلوك باتجاه الخير والطُّهر والجمال.

ولعلّ من أهم وظائف الشعر، على اختلاف موضوعاته، أنه يُصفِّي الروح من الشوائب، ويجلو المشاعر في صور رقيقة، ويُنمِّي الحسّ الجمالي، لأن ما من فكرة أو تجربة يطرحها الشعر، إلا وهي مكسوة بعواطف الشاعر وأحاسيسه، وتصل إلى قلب القارئ من هذا الباب، فتُوقظُ شعورَه وتستبيح وجدانه، لتغرس فيه المواقف تجاه الخير والشر، وتوجِّه سلوكه نحو الفضيلة والعفو والتسامح.

ومما يُذكر في هذا الباب قول خالد الكاتب(ت ٢٦٩هـ):[٣٣]

كَبِدٌ شَفَّها غَليلُ التَّصابِي
بَينَ عَتبٍ وسَخطةٍ وعَذابِ
يا سَقيمَ الجُفونِ أسقَمتَ جِسمِي
فاشفِني كيفَ شِئتَ، لا بِكَ ما بِي
إنْ أكُنْ مُذنِبًا فكُنْ حَسَنَ العَفـ
ـوِ، أوِ اجعَلْ سِوى الصُّدودِ عِقابي

فهذه الأبيات تُنبئُنا بما آلت إليه روح الشاعر من الشفافية والصفاء ورقة المشاعر، وكل هذه الصفات يكتسبها من يُطالع مثل هذه الأبيات، ويتمثل معانيَها وما يسود فيها من جو شعوري. وقال ابن طباطبا[٣٤]:

لم يَكفِ ما قد سامَنِي بغِيابِهِ
حتى تَلقّانِي بِسَيفِ عِتابِهِ
نَفسِي الفِداءُ لغائبٍ عن ناظِري
ومَحَلُّهُ في القلبِ دونَ حِجابِهِ
لولا تَمتُّعُ مُقلتِي بجمالِه
لَوهبتُها لِمُبشِّرِي بإيابِهِ

فهذه الأبيات تُعبِّر أيضًا عن روح شفافة، صقلها الحبُّ بالرِّقة واللطافة، ففاضت بالمعاني الرقيقة، مَجلوةً بجمال التصوير. ومنها أيضًا يكتسب القارئ ما يتمتع به صاحبها من رهافة الشعور، وصفاء النفس.

ومما يصبُّ في تنمية الحس الجمالي أبياتٌ في الوفاء، قالها شاعر مجهول، متخذًا من شخصية مجنون ليلى مادة لفكرته ودعوته، قال:[٣٥]

رأى المَجنُونُ في البَيداءِ كَلبًا
فجَرَّ لَهُ مِنَ الإحسانِ ذَيلا
فلامُوهُ على ما كانَ مِنهُ
وقالُوا: لِمْ أنَلتَ الكَلبَ نَيلا
فقالَ: دَعُوا المَلامَ فإنَّ عَينِي
رأتهُ مَرّةً في حَيِّ لَيلَى

فهذه الأبيات ما يكاد الإنسان ينتهي من قراءتها، حتى يملأ الحنينُ قلبَه، وتتوارد الأفكار في خاطره،

ويستعيد في باله صور الطفولة والذكريات، ويتملكه الشوق للأهل والأحبة، ويخلو بعدها مع ذاته، ولا شيء أحبّ إلى قلبه وأقدس من الوفاء.

والشعر بما يتصف به من التأثير في النفس الإنسانية، التي اعتادت عليه، فشَفَّت أحاسيسها، وصفت آفاقها، يكون في كثير من الأحيان سببًا في زوال الهموم والغضب وإخماد العداوات وسَلِّ الضغائن والأحقاد والجود بالمال والعفو. وكم في كتب التراث والمصنفات الأدبية وسِيَر الأدباء والشعراء من قصص وحكايات في هذا الشأن.

فالشِّعر إذًا يُصفِّي النَّفسَ من شوائب البغض والحقد، ويجعلها شفافة تميل نحو الفضائل، ورقيقةً تجنح للعفو والتسامح، وتوّاقةً للخير والجمال تسعَى إليهما مبتعدةً عن الشَّرّ والحقد والأنانية. قال الشريف الرضي متغزِّلاً في إحدى حجازياته:[٣٦]

يا ظَبيةَ البانِ تَرعى في خَمائِلِهِ
لِيَهنَكِ اليَومَ أنَّ القَلبَ مَرعاكِ
الماءُ عِندَكِ مَبذُولٌ لِشارِبِهِ
وليسَ يَرويكِ إلاّ مَدمَعِي الباكي
هَبَّت لنا مِن رياحِ الغَورِ رائحةٌ
بَعدَ الرُّقادِ عَرَفناها بِرَيّاكِ
سَهمٌ أصابَ ورامِيهِ بذِي سَلَمٍ
مَن بالعراقِ، لقد أبعَدتِ مَرماكِ
حَكَت لِحاظُكِ ما في الرِّيمِ مِن مُلَحٍ
يومَ اللِّقاءِ فكانَ الفَضلُ لِلحاكي
أنتِ النَّعيمُ لقلبي والعذابُ له
فما أمَرَّكِ في قَلبي وأحلاكِ
هامَت بِكِ العَينُ لم تَتبَعْ سِواكِ هَوًى
مَن عَلَّم العَينَ أنَّ القَلبَ يَهواكِ

ففي هذه الأبيات تتجلَّى رقةُ النفسِ في أجمل صورها، كما يبدو فيها سموُّ الروح المتطلعةِ إلى الحب والخير والجمال، وتظهر فيها مشاعر حنين إلى الحجاز والعراق، توحي بأن وراءها مشاعرَ غامضةً تتجه نحو شيء مُبهَم لا تبوح به الكلمات، ولكن تُومِئُ بأن فيه كلَّ معاني الجلال والكمال.

ومن يقرؤ هذه الأبيات ويردِّدها يُحِسُّ بأن قلبه قد تعلَّق بأشعة تنبعثُ من سماء القداسة والجلال، ويحسُّ بأن وجدانه قد استباحته ظلال من التأمُّل تجذبه نحو معالم علويةٍ، لا يُعكِّر صفوَها تراب الأرض، ولا ينال من عظمتها جشعُ البشَر وأحقادهم.

ولهذا لا نعجبُ إذا رأينا مَن صَقَل الشعرُ قلبَه بالحب والرقة والشفافية، يبكي على أحبابه، وإن كان قد اختار فراقَهم، وأباح لسَيفِه أن يستلَّ أرواحَهم. وفي ذلك يُحكى أن الرشيد «خرج للصيد يومًا بعدما أباد البرامكة، فاجتاز بجدارٍ خرابٍ من جدران بني برمك فرأى لوحًا مكتوبًا عليه هذه الأبيات:

يا مَنزِلاً لَعِبَ الزَّمانُ بأهلِهِ
فأبادَهُم بِتَفرُّقٍ لا يَجمَعُ
إنَّ الذينَ عَهِدتُهم فيما مَضَى
كان الزَّمانُ بهم يَضُرُّ ويَنفعُ

أصبَحتَ تُفزِعُ مَن رآكَ، وطالَما
كُنّا إليكَ مِنَ المَخاوِفِ نَضرَعُ
ذهبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافِهِم
وبَقِي الذينَ حَياتُهُم لا تَنفعُ

قال: فبكى الرشيدُ، وأقبل على الأصمعي وقال: أتعرف شيئًا من أخبار البرامكة تحدثني به...»[٣٧].

فالقلب الذي ارتشَف من الشعر عبقَ الشفافيةِ، واستمدَّ منه كلَّ معاني الرِّقة والإحساس، يبكي صاحبه على الأحباب، وتستوقفه الذكريات، وإن كان يحكم مِن الأرضِ ما لا تغيب عنه الشمس، ومن الناس ما لا يَعلم عديدَهم أحدٌ.

مما تقدَّم يظهر أن الشعراء ومتذوِّقي الشعر كانوا على درجة كبيرة من رقة العواطف، وصفاء النفس، وشفافية الروح، بحيث يدخل الشعرُ قلوبَهم بلا استئذان، ويستبيح وجدانهم بلا حُرّاس، فتمتزج أفئدتهم بسِحره، وتمتلئُ جوانحهم بخفقاته، وينعمون تحت ظلاله بحياة لا يعرفون فيها الجفاءَ والخشونةَ والحقد، روى أبو هلال العسكري أنه قيل: «لا شيء أسبق إلى الأسماع، وأوقع فى القلوب، وأبقى على الليالي والأيام من مثل سائر، وشعر نادر».[٣٨]

رابعًا- تقويم السلوك وتعزيز القيم:

ظهر فيما تقدَّم أن الشعر كانت له منزلة عظيمة عند العرب منذ الجاهلية، ويُروى أن القبائل كانت تحتفل لنبوغ الشعراء فيها، قال ابن رشيق: «وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائلُ فهنَّأتها بذلك، وصنعَت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبْن بالمزاهِر كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والوِلْدان؛ لأنه حِمايةٌ لأعراضهم، وذَبٌّ عن أحسابهم، وتخليدٌ لمآثرهم، وإشادةٌ لِذِكرِهِم، وكانوا لا يُهنِّئُون إلاّ بغلام يُولَد، أو شاعرٍ يَنبغ فيهم، أو فرسٍ تُنتج»[٣٩].

ويدلّ على إجلال العرب للشعر، وإعجابهم به، أنهم حين بهَرَهم البيان القرآني، وأعجزهم أسلوبه عن الإتيان بمثله، وأقرُّوا بأنه كلامٌ لا يُجارَى، «نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر، فقالوا: هو شاعر، لِما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته، وأنه يقع منه ما لا يُلحَق»[٤٠].

والشعر كما ظهر سابقًا يُخاطب العقول بما يختزنه من علم وفِكر وتجارب، ويُخاطِبُ النفوس بما يحمله بين ألفاظه ومعانيه وأنغامه من أحاسيس الشاعر وأحلامه وأمنياته وشكواه وحبّه. ولهذا فهو يدخلُ عالَمَ الإنسان من طريق العقل والنفس، فيكون أقدرَ على التأثير والإقناع، وأجدرَ بالإعجاب والقبول. وفي هذا المعنى قال السري الرفاء متحدِّثًا عن جمال شعره وقوة تأثيره في القلوب: [٤١]

إذا ما صافحَ الأسماعَ يومًا
تبسَّمَتِ الضَّمائرُ والقلوبُ
فمِن حُسْنِ الصَّنائعِ فيه حُسنٌ
ومِن طِيبِ المَحامدِ فيه طِيبُ
وليسَ يَفوحُ زَهرُ الرَّوضِ حتى
تُفتِّحَهُ شَمالٌ أو جَنوبُ

ونظرًا إلى ما يتصف به الشعر من قوة التأثير في

العقول والقلوب، وما يتمتع به من حُسن القَبول عند الناس، فقد كان له دور كبير في ترسيخ القِيَم والأخلاق، كالشجاعة والمروءة والعِفّة والصدق والكرم.

والحديث عن دور الشعر في ترسيخ القيم لا يعني ما نجده في بعض الأشعار من دعوات مباشرة إلى التحلّي بتلك القيم، والحض عليها على سبيل الأمر والوعظ، فهذا النوع من الشعر لا يختلف عن المواعظ إلا في النظم والقافية، وإنما المقصود هو ذاك الشعر الذي يُصوِّر فيه الشاعر نظرتَه إلى الحياة، وموقفه من الناس، وعلاقته بِمَن يُحبّ، ويبثُّ فيه حرارة إحساسه، وخَفقات فؤاده، وعُمقَ تجربته، ونتاج تأمُّله، فيَتلقَّى القارئ ما يحويه ذاك الشعر من فكر وعاطفة، وتتفاعل معه نفسُه فتجيش فيها العواطف، ثم تستجلي من عواطف الشاعر وإحساسه، لا من صريح عباراته وألفاظه، صورةً نفسية للقِيم، عمادها الذوق والحب والرِّضا، ترسخ في النفس أولاً، ثم تنتقل إلى العقل فتحلُّ فيه وتكسبُ لها موقعًا بين المبادئ التي يتبناها العقل.

ولتوضيح هذه الحقيقة أسوق مثلاً ما قاله الشريف الرضي متغزِّلاً:[٤٢]

رَمانِي كالعَدُوِّ يُريدُ قَتلي

مُغالَطةً، وقالَ: أنا الحَبيبُ

وأنكرَني، فعرَّفني إليه

لَظَى الأنفاسِ والنَّظرُ المُريبُ

وقالوا: لِمْ أطَعتَ؟ وكيف أعصِي

أمِيرًا مِن رَعِيّتِهِ القُلوبُ

فهذه الأبيات فيها من الشاعرية والإبداع وعُذوبة اللفظ وجمال التصوير ما لا يُعَبَّر عنه بالشرح والتفسير، وحين يقرؤها الإنسان يشعر بأن نفسَه تهفو إليها، وتتمثَّل معانيَها، وتُقابلها بالرضا والإعجاب، ثم تتّجه إلى استخلاصِ ما فيها من قِيَم بثَّها الشاعر بلغة العواطف والقلوب، فتجدُ فيها العفةَ والوفاء ومداراة الحبيب، وكلُّ ذلك لم يُصرِّح به الشاعر بلفظه، وإنما أتى مع عواطفه، فاستخلصته النفسُ لأنه من مداركِها وعالَمها، وتقبَّلَته وأنِسَت به وتمثَّلَته، ثم أرسلته إلى العقل ليجد مكانَه بين المبادئ الثابتة.

فالقِيَم في الأصل مكانها العقل، وتنتقل بين العقول بالألفاظ الصريحة المعبِّرة عنها، التي يفهمها العقل. ولكن رحلتها في الشعر تبدأ من عقل الشاعر، ثم تتحول إلى صورة نفسية تذوب في عواطفه، وتنتقل معها عن طريق التعبير الشعري إلى نفس القارئ، فتتلقاها وتبني منها فكرة ذهنية تجد مكانها في عقل القارئ فتستقر فيه. أي أن الفِكرة الذهنية في عقل الشاعر تتحول إلى صورة نفسية يحملها التعبير الشعري إلى نفس القارئ، فتتلقاها وتعيدها إلى فكرة ذهنية، عبر التفاعل المستمر بينها وبين العقل، لتستقر في النهاية في عقله بين المبادئ والقيم.[٤٣]

ولمزيد من التوضيح يُمكن الاستئناس بالواقع اللغوي في مجال الوصف مثلاً، فالكاتب أو الشاعر إذا أراد وصف مشهد من مشاهد الطبيعة، فإنه ينظر إليه ويتأمله بعيونه، ثم يُحوِّل المشهدَ المحسوسَ بالبصر إلى تعبير لغوي يُدرِكُه العقل، والتعبير اللغوي ينتقل إلى عقل القارئ أو السامع، فيُدركه ويُعيده عن طريق

التخيُّل إلى مشهد في حكم المحسوس بالبصر. أي أن المشهد المحسوس بالبصر يتحول إلى فكرة ذهنية لغوية، ثم يُرسَل إلى القارئ في صفته الذهنية، فيُعيده إلى صورته المحسوسة عن طريق التخيل.

وفي الشعر كما تقدَّم تتحول الفكرة الذهنية عند الشاعر إلى عاطفة، ثم تنتقل إلى نفس القارئ فتُدركها، ثم تُعيدها إلى فكرة ذهنية تستقرُّ في عقله.

ونظرًا إلى أن رحلة القِيَم في الشعر تمرُّ بعالَم النفس والعواطف، الذي يشوبه الغموض والإبهام، فقد يختلف إدراكُ القيم بين قارئ وآخر، لارتباطه باستعداد النفس وتمرُّسِها في هذا الاتجاه، وقدرتها على تحليل العواطف وفهمها، وتحويلها إلى فكرة ذهنية يُدركها العقل ويحفظها.

ومن جهة أخرى فإن النفس قد تستخلص صورًا ناقصة للقيم، كما أن تفاعلها مع العقل قد لا يُفضي إلى ترسيخ فكرة ذهنية واضحة لها، ولهذا قد يحتاج ترسيخ القِيَم والمبادِئ في عقل القارئ إلى مزيد من المطالعة في الشعر، وإلى كثرة التأمل فيه والتدبُّر لمعانيه وإيحاءاته.

فشعر الغزل العفيف مثلاً يحوي الكثير من القِيَم، كالعفة والمروءة والتسامح والكرم والإيثار والتضحية، ولكن هذه القِيَم لا تترسَّخ في عقل القارئ من قصيدة واحدة، بل تحتاج إلى قصائد كثيرة وفي مراحل مختلفة، لتتمرَّن النفسُ على فهم لغة العواطف واستيعابها، والتفاعل مع العقل والتأثير فيه، واكتساب القدرة على تحويل العواطف المُبهمة إلى فكرة ذهنية يُدركها العقل.

فاكتساب القِيَم من الشعر رحلة قد تطول وقد تقصُر، ولكنها لا تتوقَّف ولا يشاء مَن يعتادها أن تتوقَّف، لما يَحُفُّها من متعة الاكتشاف والتذوق، وتَنبيه المشاعر، وتجدُّد الأحاسيس، وجمال التصوير، ولذّة التنقُّل في عالم النفس والخيال.

ومن روائع الغزل العفيف قول العباس بن الأحنف:(٤٤)

أبكي الَّذينَ أذاقوني مَودّتَهُم
حَتّى إذا أيقَظوني لِلهَوى رَقَدوا
جاروا عَلَيَّ ولَم يُوفوا بِعَهدِهِمُ
قَد كُنتُ أحسَبُهُم يُوفونَ إن عَهِدوا
لأخرُجَنَّ مِنَ الدُّنيا وحُبُّكُمُ
بَينَ الجَوانِحِ لَم يَشعُر بِهِ أَحَدُ

وهذه الأبيات قال فيها بشار بن برد: ما زال غلامٌ من بني حنيفة يُدخِلُ نَفسَه فينا ويُخرجُها حتى قال: (وأنشد الأبيات).(٤٥)

وفيها يبوح الشاعر بشكواه من ظُلم الحبيب وهجرانه، ويُضمِّن تلك الشكوى عاطفةً حزينة تخرج من قلب أتعبته الأمنيات، وأسهرته الوعود، وآذاه صدود الحبيب، فتفرَّد في عزلته بين ظُلمة اليأس وظلام الصدور، يَقتات بالأمل، ويتسلَّى بالذكريات، وهو مُوقِن أن حظَّه من المحبوب قد اختطفته الجِنُّ، وتجاوزت به حدود النجوم، واحترق هناك بالشهب.

والقارئ حين يُطالِع هذه الأبيات ويتأملها تهيج في نفسه العواطف والأشجان، وتتوارد في ذهنه الصور والذكريات، فتصطَبِغُ نفسُه بحالة من الألم الغامض، ومسحة من الحزن المحبَّب، تجعلانه يستمتع بالألم،

ويسعد بالحزن، ويقنع بالعذاب، ويرى العِفّةَ والفضيلة والوفاء أشهى إلى قلبه من الحبّ ذاته.

ويجدر بالذِّكر أن الشجاعة والصبر من أهم الخِصال التي يُمتَدَح بها الإنسان، ويتفاضل في الانتساب إليها العُظماء، وهما من القِيَم التي يُرسِّخها الشعر في النفس والوجدان. وهذا قطري بن الفُجاءة، يَثبت في ساحات القتال، مُردِّدًا أبياته التي خرَجَت على كلِّ لسان، قال:(٤٦)

أقولُ لها، وقَد طارَت شَعاعًا

مِن الأبطالِ: وَيحَكِ لا تُراعِي

فإنَّكِ لو سَألتِ بَقاءَ يَومٍ

على الأجَلِ الذي لَكِ لَن تُطاعي

فصَبرًا في مَجالِ المَوتِ صَبرًا

فما نَيلُ الخُلُودِ بِمُستَطاعِ

فهذه الأبيات تُصوِّر ما يدور في قلب الإنسان في لحظات الشِّدة والخوف، فالشاعر في ساحة الحرب، يُنازل الأبطال، والموت يقترب منه مع لمعان السيوف واهتزاز الرماح، فتحدِّثُه النفس أن يدع الميدان ويلتمس الأمان، فيستجمع قُواه ثم يلطم نفسه المتشبثة بالحياة بما غرسته الشجاعة في فِكره وقلبه من يقين بأن للموت موعِدًا، وللنفوس آجالاً، ولن يُقصِّر الأجلَ الثباتُ في الميادين، ولن يُطيله الجُبنُ والفرار.

ولعلَّ القارئ لا يملُّ من تكرار هذه الأبيات، لما يَجده فيها من أحاسيس متجدِّدة تمدُّ رُوحَه بقِيَم الصبر والشجاعة والرضا بالقضاء. قال ابنُ خِلِّكان: «وهذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله، وما أعرف في هذا الباب مثلَها، وما صدرت إلا عن نفس أبية وشهامة عربية».(٤٧)

وقد يتبادر إلى الأذهان أن القِيَم من موضوعات الخطابة والوعظ، والخُطباء والمرشدون لا يألون جهدًا في الدعوة إليها والحثِّ على التحلِّي بها، وهذا صحيح، ولكن هناك فرق كبير بين أن يتلقَّى الإنسان هذه القِيَم من أفواه الخطباء والمُرشدين، وبين أن يحصِّلها عن طريق الشِّعر بلغة الطِّباع والعَواطف، فالطريق الأول طويل لأنه يأتي من جهة العقل، والنفسُ لا تقبل بسهولةٍ ما يردها عن طريق العقل ويُخالف رغباتها، وبين الرفض والقبول رحلة طويلة من التردُّد، وبين الميل إلى المنفعة أو الرغبة أمد طويل من الصراع النفسي والتفكّر.

أما الطريق الثاني - وهو طريق الشعر – فإن النفس تطمئن إليه وتألفه، فتتلقَّف منه المبادئ، وتستخلص القِيَم، ثم تعرضها على العقل، معتمدة أسلوب التدرُّج في بناء القِيَم وتثبيتها فيه.

يتضح مما تقدَّم أن للشعر أثرًا بارزًا في بناء القِيَم والمبادئ عند الإنسان، وأن الشاعرية تُحوِّل القِيَم من فكرة ذهنية إلى عاطفة، فتتلقاها نفسُ القارئِ وتُعيدها إلى فكرة ذهنية تنغرس في عقل القارئ ووجدانه، وهو في الغالب لا يدري أنه استفاد ذلك وحصَّله من الشعر، لأن القِيَم في صورتها العاطفية لا يدلُّ عليها اللفظ الصريح، ولا المضمون الفكري للشعر، ولا الموضوع الذي يتناوله.

الخاتمة:

مما سبَق يتضح أن للشعر فوائد كثيرة، فهو «يدعو إلى مكارم الأخلاقِ، ويعلِّمُ محاسِنَ الأعمالِ، ويبعثُ على جميلِ الأفعالِ، ويفتُقُ الفِطْنةَ، ويشحَذُ القريحةَ، ويحدو على ابتناءِ المناقبِ وادّخار المكارمِ، ويَنهى عن الأخلاقِ الدنيئةِ، ويزجُرُ عن مُواقَعةِ الرِّيَبِ، ويحضُّ على معالي الرُتَبِ».[٤٨]

فمن الشعر يكتسب الإنسان اللغةَ والمَلكات اللسانية، والتفنُّنَ في الأساليب التعبيرية، ومنه يستمدُّ العلمَ والمعرفة والحكمة، ويَطَّلعُ على تجارب الأجداد ونوادرهم، ويتعلَّم سرعةَ البديهةِ، وحُسنَ الجواب، واللطافة في السؤال، وتغوص فيه النفس، فتَعوم في بحر من الشفافية والرِّقّة والإحساس، وتنطلق في دروب الصفاء والطهر والكمال، متوشِّحة بأثواب الفضيلة والجمال.

وإن قراءة الشعر ومدارسته والتأمل في معانيه وألفاظه، كل ذلك يُسهم في تعزيز اللغة العربية، والتمكين لها في العقول والقلوب، لأن الإنسان حين يتلقى اللغة عن طريق الشعر تغوص ألفاظها في قلبه مع ما يُصاحبها من مشاعر وأحاسيس، فتستقرُّ معانيها في ذهنه، ومحبّتُها في فؤاده.

يُضاف إلى ذلك أن اللغة التي صِيغ منها الشعر هي على درجة كبيرة من السهولة والرِّقة وسلاسة الأسلوب وتدفُّق الموسيقا، وهي في الغالب تُمثِّل اللغةَ الحيّة، التي استوعَبَت تاريخ العرب وحضارتَهم، وحَملت خُلاصةَ عقولهم وأفكارهم، وتجسَّدت فيها روائعُ الحكمة والعِبَر، ومعاني البطولة والقِيَم، ونبضات القلوب التي اعتصرتها المِحَن، ومشاعر الأفئدة التي صاغها الحب والحنين والذكريات أنغامًا خالدة تستحقّ الحياة.

الهوامش

١. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ، ٢: ٧٩. وأبو عمر بن العلاء هو: زبان بن العلاء التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة، وأعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر وأيام العرب، توفي سنة ١٥٤هـ.

٢. التذكرة الفخرية لبهاء الدين الإربلي (ت ٦٩٢هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، دار البشائر، دمشق ٢٠٠٤، ص١٧.

٣. شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، قدَّم له ووضع هوامشه وحواشيه: راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٤، ٢: ٨٩.

٤. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق وبيروت ١٩٩٥، ٢٨: ١٠٤.

٥. العقد الفريد لابن عبد ربه ٢: ١٨٤. والأضغان: جمع ضِغنٍ، وهو الحقد. ودحسوا: بادَروا. والأبيات للعلاء بن الحضرمي نفسه، كما في معجم الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢، ص٢٩٦.

٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت ١٩٨١، ١: ٢٩.

٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي (ت ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١: ١٢٣.

٨. التذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، ط١، دار صادر، بيروت ١٤١٧هـ، ١: ٨٩.

٩. البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ، ١: ٢٤٩.

١٠. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٩هـ، ص١٣٨.

١١. مقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨، ١: ٧٤٢.

١٢. البيان والتبيين للجاحظ ١: ٢٣٩.

١٣. الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠، ٢٢: ١٥٩. وابن سعيد هو: علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، مُؤرّخ وأديب، زار معظم البلاد العربية وأقام فيها، ألَّف عشرات المصنفات في التاريخ والجغرافية والتراجم والأدب، أهمها: المُغرِب في حُلى المَغرب، والمُشرِق في حُلَى المَشرق، وتوفي سنة ٦٧٣هـ.

١٤. يُنظر: المثل السائر لابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١: ١٠٠.

١٥. العمدة لابن رشيق ١: ١٦٦.

١٦. ديوانه، شرح مجيد طراد، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٨، ص١٣٢.

١٧. ديوانه ١: ٢٤٦. ومُخلِق: اسم فاعل للفعل أخلَق، وهو فعل متعدٍّ بالهمزة، معناه: أبلى، والديباجتان: مثنّى ديباجة، وهي في الأصل الثوب، واستعاره هنا لظاهر الإنسان وباطنه، أي لهيئته وفِكره. والسَّرمَد: الدائم.

١٨. أخبار أبي تمام للصولي (ت ٣٣٦هـ)، تحقيق: خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندي، ط٣، دار الآفلق الجديدة، بيروت ١٩٨٠، ص٦١.

١٩. شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦، ١: ٢١٨ و٢٢٠.

٢٠. يُنظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١: ٩١.

٢١. شرح ديوانه للبرقوقي ٣: ١٥١.

٢٢. يُنظر: أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، ص١٢١.

٢٣. أسرار البلاغة للجرجاني ص١٢٢.

٢٤. ديوانه، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، دون تاريخ، ص٤٨. وابن خفاجة هو: إبراهيم بن خفاجة الأندلسي، غلب على شعره الغزل ووصف الرياض والطبيعة. ولم يتصل بأمراء الطوائف، مع تهافتهم على الأدب وأهله، توفي سنة ٥٣٣هـ. والأوّاه: الكثير التأوُّه، وهنا العابد. والمُدلج: الذي يسير في أول الليل. والمؤوِّب: الذي يسير النهار كلَّه إلى الليل. ونَكَّبتُ: عدلتُ وتَنَحَّيتُ. والطَّية: مصدر مرة للفعل طَوى، ومعناه السَّفر، من قولهم: طوى الأرض، أي سار فيها وقطعها.

٢٥. الحماسة المغربية ٢: ٨٨٠.

٢٦. إعلام الناس بما وقع للبرامكة للإتليدي (ت ق ١٢٠٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤، ص٢٣٦.

٢٧. ربيع الأبرار للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٢هـ، ٣: ١٨٨.

٢٨. الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢: ٧٦٦.

٢٩. نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ، ٨: ١٧٠.

٣٠. عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، ص١١٧- ١١٨، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٢: ٣٥٠.

٣١. ديوانه بشرح البرقوقي ١: ٢٩١- ٢٩٢.

٣٢. اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١: ٤٥٧.

٣٣. ديوانه، تحقيق: كارين صابر، منشورات وزارة الثقافة السورية ٢٠٠٦، ص٨٩.

٣٤. البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٨٨، ٥: ٢٢٠.

٣٥. درة الأسرار لمحمد بن قاسم الحميري (مخطوطة).

٣٦. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني نسخة الموسوعة الشعرية، ص٦٦٠٠، ويُنظر: ديوان العباس بن الأحنف ص٢٩.

٣٧. إعلام الناس بما وقع للبرامكة ص١٨٦.

٣٨. كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص١٣٧.

٣٩. العمدة لابن رشيق ١: ٦٥.

٤٠. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨، ٢: ٤٠٠.

٤١. ديوانه، تقديم وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت ١٩٩٦، ص٤٦، والبيت الأول منسوب إلى المتنبي في بعض المراجع. يُنظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، ط١، دار الأرقم، بيروت ١٤٢٠هـ، ١: ٨٤، والتذكرة الحمدونية ٥: ٤٠٧.

٤٢. ديوانه، طبع دار صادر، بيروت ١٩٦١، ١: ١٧٨.

٤٣. هذه الأحكام مستخلصة من تجربة طويلة، وصلة مستمرة بالشعر عن طريق التأليف والقراءة والتأمُّل، وأتطلَّع أن يكون للإخوة الباحثين رأي فيها.

٤٤. ديوانه ص٨٤.

٤٥. يُنظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١: ٥٤.

٤٦. قطري بن الفجاءة: حياته وشعره، د. وليد قصاب، ط١، دار الثقافة، الدوحة ١٩٩٣، ص٣٧.

٤٧. وفيات الأعيان لابن خِلِّكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٤: ٩٤.

٤٨. نُضرة الإغريض في نُصرة القريض للمظفر العلوي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: الدكتورة نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دون تاريخ، ص٣٥٦.

المصادر والمراجع

١- أخبار أبي تمام للصولي (ت ٣٣٦هـ)، تحقيق: خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندي، ط٣، دار الآفلق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.

٢- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة.

٣- إعلام الناس بما وقع للبرامكة للإتليدي (المتوفى قبل ١٢٠٠هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤.

٤- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٨٨.

٥- البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.

٦- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق وبيروت ١٩٩٥.

٧- التذكرة الحمدونية لابن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، ط١، دار صادر، بيروت ١٤١٧هـ.

٨- التذكرة الفخرية لبهاء الدين الإربلي (ت ٦٩٢هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، دار البشائر، دمشق ٢٠٠٤.

٩- الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري (ت ٦٥٩هـ)، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ.

١٠- الحماسة المغربية لأبي العباس الجرّاوي التادلي (ت ٦٠٩هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩١.

١١- ديوان إسحاق الموصلي، جمع وتحقيق: ماجد أحمد العزي، مطبعة الإيمان، بغداد، ص١٦٤.

١٢- درة الأسرار لمحمد بن قاسم الحميري (مخطوطة).

١٣- ديوان خالد الكاتب، تحقيق: كارين صابر، منشورات وزارة الثقافة السورية ٢٠٠٦.

١٤- ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، دون تاريخ.

١٥- ديوان دعبل الخزاعي، شرح مجيد طراد، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٨.

١٦- ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت ١٩٩٦.

١٧- ديوان الشريف الرضي، طبع دار صادر، بيروت ١٩٦١، ١: ١٧٨.

١٨- ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٤.

١٩- ربيع الأبرار للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٢هـ.

٢٠- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، قدَّم له ووضع هوامشه وحواشيه: راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٤.

٢١- شرح ديوان المتنبي للعكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.

٢٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، دار

الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ.
٢٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي (ت ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
٢٤- طبقات الشعراء لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٣، دار المعارف، القاهرة.
٢٥- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ.
٢٦- عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥.
٢٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، بيروت ١٩٨١.
٢٨- قطري بن الفجاءة: حياته وشعره، د. وليد قصاب، ط١، دار الثقافة، الدوحة ١٩٩٣.
٢٩- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١٩هـ.
٣٠- اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
٣١- المثل السائر لابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ.
٣٢- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، ط١، دار الأرقم، بيروت ١٤٢٠هـ.
٣٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
٣٤- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ.
٣٥- معجم الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢.
٣٦- مقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨.
٣٧- نُضرة الإغريض في نُصرة القريض للمظفر العلوي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: الدكتورة نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دون تاريخ.
٣٨- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ.
٣٩- الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.
٤٠- وفيات الأعيان لابن خِلِّكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.